إلى المواجهة

ذكريات د. عدنان مسودي

عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس

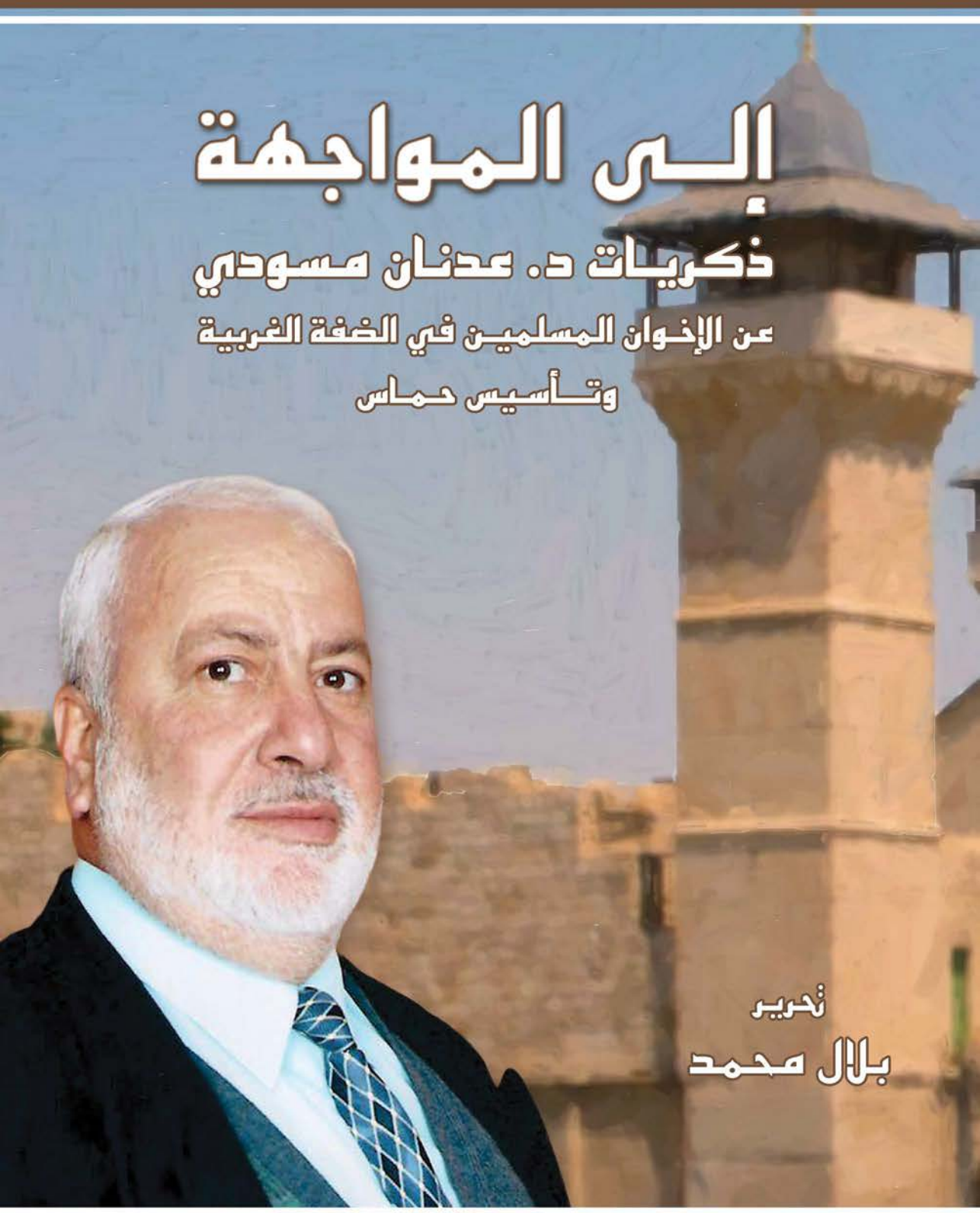

تحرير
بلال محمد

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الرابع

انقلاب "قطبي" (1970-1976)

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net الموقع: www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

انقلاب "قطبي" (1970-1976)

في سنة 1970 عدت إلى مدينة الخليل عن طريق "لم شمل"، وبدأت العمل كطبيب في دائرة الصحة والمستشفى، وبالإضافة لشهادتي في الطب عدت من سورية بالمنهاج القطبي، مادة أسرتنا في سورية، ليكون لاحقاً زاداً للأسر التي ستكون في منطقة الخليل لمدة عشر سنوات.

سيد قطب في الخليل

بعد أيام من استقبالي للمهنئين وفي إحدى الليالي وبينما كنا نتسامر أنا ونسيبي وحبيبي محمد رشاد الشريف في بيته، ناقشته بأفكاري القطبية والمركزة على بعض المواضيع مثل الحاكمية أخص خصائص الألوهية، وهي كلمة لم تكن تتردد على مسامعه كثيراً، فهو لم يقرأ في الطبعة الثانية للظلال، ولم يقرأ معالم في الطريق، أو جاهلية القرن العشرين، فدهش من هذه الأفكار، وبدأ يعارضني، فكنت أخرج الظلال من عنده وأفتح له الصفحة التي أتحدث عنها واقرأ له، فيتعجب ثم يقول: "هات هات"، فيأخذ الظلال ويقول وهو يقرأ: "هذا كلام غير صحيح".

فقام ورتب لي اجتماعاً مع قيادة الإخوان المسلمين في الخليل، وكان هذا في يوم خميس من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 1976، وطلب مني المجيء إلى مقر الجمعية الخيرية الإسلامية في الزاهد، وهي دار عبد النبي سابقاً والتي تبرعوا بها لتكون داراً للأيتام ومقراً للجمعية، وقال عندما يغادر الأستاذان صائب الناظر والحاج كاظم حسونة، وهما ليسا من الإخوان، وتشعر بدخول الدكتور حافظ عبد النبي عندها تأتي.

وفعلاً كانت هذه الإشارة علامة لدخولي، فدخلت إلى غرفة الهيئة الإدارية فوجدت رئيس الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية الإسلامية الشيخ شكري أبو رجب والحاج عيسى عبد النبي ووالدي الحاج عبد الحافظ مسودي والحاج راشد سلهب والشيخ يوسف نوفل والدكتور حافظ عبد النبي رحمهم الله جميعاً، والدكتور عبد المجيد الزير والأستاذ محمد رشاد الشريف الذي بدأ بالحديث فقال: "إنّ لدى الدكتور عدنان أفكاراً واقتراحات جيدة سوف نسمعها منه الآن"، وكان قد مهد لي في الأيام السابقة.

وعندها تكلمت وشرحت أفكاري التي تعتمد على ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله، وهي أفكار ثورية جداً، خطيرة، مخيفة، وبدأت بالآيات من سورة النساء حول الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم في ظلال حكم غير إسلامي مثل الاحتلال الصهيوني، وخوفتهم من الشرك، أو النفاق، وطالبتهم بضرورة العمل الجدي بتنظيم الأسر، والتدريب العسكري، والجهاد الفعلي، ولكني لم أكن موفقاً، فرفضوا كلامي، خاصة عندما طالبتهم بتنظيم أولادهم في العمل المسلح، وقلت أنا من يتصل بالإخوة في الخارج، وكنت أضمر إخوة مثل أحمد نوفل والشهيد عبد الله عزام، وإننا مثلنا مثل بقية الفصائل والمنظمات، مثل فتح والجبهة الشعبية، وغيرهما.

فثارت ثورتهم ضدي، وقال لي الشيخ شكري رحمه الله محذراً: "إسمع لا تتصل بأحد من الإخوان الذين كنت تعرفهم، فقد يكون هذا الأخ (عميل)!؟ انتبه!" فأرعبني هذا الكلام.

وقال الدكتور حافظ: "أنت تتكلم في سعة، ولم تذهب ولا مرة للعمارة (قيادة الجيش الإسرائيلي)، ولا حتى ليلة واحدة". أما والدي والحاج راشد سلهب فآثرا الصمت. لكن الشيخ يوسف نوفل رحمه الله قال كلاماً جميلاً مؤيداً لي، وقال: "أنا مع الدكتور عدنان"، فتعجب الجميع! كان الشيخ يوسف نوفل عسكرياً، عمل في الجيش الأردني ووصل لرتبة نقيب، وله ماضٍ جهادي معروف، وهو بالإضافة لذلك كان لاجئاً، وكان اللاجئون أكثر المتحمسين للعمل ضدّ الاحتلال.

فتدخل الدكتور عبد المجيد الزير، ولم أكن أعلم أنه مسؤول الإخوان في الخليل فقد تحولوا للعمل السري بعد الاحتلال، وقال: "نريد أن نبحث الأمر في نطاق أضيق، لذا سنؤلف لجنة مني ومن الدكتور عدنان ومن الحاج عيسى والأستاذ محمد رشاد الشريف، ونبحث في اقتراحات الدكتور عدنان"، وكان مخرجاً مقبولاً بالنسبة لي، فوافقت وتراجعت عن ذلك الكلام الذي أخافهم وقلت: "نبدأ بتشكيل الأسر". وفعلاً جلسنا في دار الأستاذ أبو رفعت، وكان الدكتور عبد المجيد يقود الأمر، وكان لبقاً وذكياً، وجيداً في بلورة الرأي، وأخذ الدكتور عبد المجيد يقسّم العمل، وقال: "أنا والدكتور عدنان نعمل بين الأطباء، والحاج عيسى بين التجار، والأستاذ أبو رفعت [محمد رشاد الشريف] بين المعلمين، ولنراجع الحاج راشد مسؤول قسم الأسر في هذا". وتفرقنا ولم نعد لغيرها!

لم أتوقف هنا وإنما بدأت أتصل بمفردي مع الإخوة الذين أتوسم بهم، فاتصلت أولاً بمحمد عيد مسك، وعبد الحكيم فراح، ومرتضى عبد النبي، ومحمد عبد العزيز رصرص، وفيما بعد عادل اشنيور وأحمد القيق[1]، فوافقوا على العمل، علماً إنني كنت حذراً جداً معهم عملاً بكلام الشيخ شكري، وكان هذا الاتصال بداية أسرتنا الأولى، التي خرج منها لاحقاً الأخ مرتضى لأنه كان يجلس مع عمه الحاج عيسى عبد النبي.

الأسرة الأولى

بدأنا نجتمع أسبوعياً بعد صلاة الفجر في بيتي في وادي التفاح مقابل عين عرب في دار توفيق شاور الطابق الثاني فوق دائرة الصحة – الأمراض الصدرية، وهي الآن عيادة أسنان، وهي الدار التي تركتها بعد قراري بالسفر للتخصص في دمشق، ثم انتقلنا للاجتماع في مسجد القزازين الذي كان إمامه الأخ عز الدين فراح، فكنا نصلي الفجر ونصعد إلى الطابق الثالث بينما يسبّح المصلون، ثم يطفئوا الأنوار ويغلقوا الأبواب ونحن مكاننا.

وعندما كانت الأسرة في بيتي، كنا نصلي الفجر في المسجد ثم يأتي الإخوة إلى البيت، ولم تكن زوجتي تدرِ من الذي يحضر، ولم أكن أُعلمها عن هذه النشاطات، وإنما تقوم بعمل إبريق شاي أو تقدم لنا فاكهة معينة حتى يخرجوا. وكنا نطبِّق المنهاج الذي أحضرْته من دمشق، والذي قمت بوصفه سابقاً، فعند مغادرتي لدمشق أحضرت المنهاج في دفتر بعد أن أعدت صياغته بلغة مرمّزة، ثم كتبته بلغة واضحة مفصلة، وأصبح لدى كلّ واحد منا نسخة عن المنهاج، وكانت هذه الأسرة رحماً لعدد كبير من الأسر الإخوانية.

[1] أحمد القيق (1949-): ولد في قرية البرج إحدى قرى محافظة الخليل، التحق بالجامعة الأردنية وتخرج من كلية الشريعة سنة 1972. عمل في التدريس وفي الإشراف التربوي في مكتب التربية والتعليم بجنوب الخليل، كما عمل في مجال المحاماة الشرعي. أسهم في تأسيس وعضوية وإدارة عدد من المؤسسات الخيرية والاجتماعية. بدأ نشاطه الدعوي في أثناء دراسته الجامعية مع الدكتور مسودي وإخوانه في إعادة نشر دعوة الإخوان المسلمين، اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. (المحرر)

الكتلة الإسلامية

بعد مرورسنتين (1971-1972) من العمل كنا نخطط لكيفية زيادة العدد، وكان افتتاح كلية الشريعة سبباً في تعرفنا فيها على عدد من الإخوة الذين صاروا من رموز العمل الإسلامي في فلسطين. وقد ضمت المجموعة الأولى الأخ هلال ناصر والأخ ماهر خراز، من منطقة نابلس، والأخ رائد صلاح[2]، والأخ كمال الخطيب[3] وكلاهما من الأراضي المحتلة سنة 1948، وكان يجلس معهم الأخ محمد عيد مسك.

وأخذ العدد يتزايد باستمرار بفعل جهود الأخ هلال الذي كان يجذب الطلاب ويستقطبهم في مسجد الحسين بن علي ويجلس معهم بعد صلاة العصر من كلّ أسبوع، وكان عدد الحضور يفوق العشرين شخصاً في بعض الأحيان، فتعجب منه الشيخ حامد طهبوب رحمه الله، وكان تحريرياً، فأخذ يعاكسه ويشوش عليه، فتدخلتُ وطلبتُ من الشيخ صلاح النتشة، وهو الإمام وقف ذلك. ومن الأخوة الذين كانوا يجلسون مع الأخ هلال الأخ طاهر دنديس، وهو زوج أختي نائلة (أم الحسن)، والذي أحضر نادي مسودي وحازم مسودي وغيرهم، وكانوا في الصف التاسع، وكان هؤلاء يحبون الأخ هلال كثيراً، وكان بارعاً ومؤثراً وله يد في تشكيل عدد من الأسر.

تستوقفني هنا قصة صغيرة، فقد شكلت أسرة من ثلاثة شباب هم زهير عاشور وأخواي أكرم وحازم مسودي وكانوا في الصفوف الإعدادية، وبعد أن شجعتهم وأقنعتهم بضرورة العمل في جماعة منظمة وسرية مزوداً عقولهم بالأفكار الجديدة من الظلال، طلبت منهم أن يحضروا طلاباً محافظين على الصلاة ويوثق في إيمانهم، فذهبوا إلى الأستاذ أمير رصرص وكان يعلّم في مدرسة ابتدائية في حارة أبو سنينة ظناً منهم أنه

---

[2] رائد صلاح (1958-): ولد في أم الفحم أحد المدن الفلسطينية التي احتلت سنة 1948، حصل على بكالوريوس شريعة إسلامية من جامعة الخليل، شاعر، أسهم في تأسيس الحركة الإسلامية داخل فلسطين المحتلة سنة 1948. شغل رئاسة تحرير مجلة الصراط لسان حال الحركة الإسلامية. أسهم في تأسيس عدد من الجمعيات الخيرية. نجح في رئاسة بلدية أم الفحم لثلاث دورات متتابعة، استقال من رئاسة البلدية ليتفرغ لقيادة الحركة الإسلامية داخل فلسطين 1948 الجناح الشمالي، ولمتابعة قضية المسجد الأقصى. اعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال الصهيوني لدفاعه عن المسجد الأقصى، لقب بـ"شيخ الأقصى". (المحرر)

[3] كمال الخطيب (1962-): ولد في قرية العزير أحد القرى الفلسطينية التي احتلت سنة 1948، حصل على بكالوريوس شريعة إسلامية من جامعة الخليل، شغل عضوية عدد من المؤسسات الخيرية، نائب رئيس الحركة الإسلامية داخل فلسطين 1948 الجناح الشمالي، تسلم قيادة الحركة بعد اعتقال الشيخ رائد صلاح وإخوانه في قضية عرفت بقضية "رهائن الأقصى". (المحرر)

يعمل معنا، فقد كان معروفاً لديهم بأنه من الإخوان، فعرضوا عليه أفكارهم وطلبوا منه الانضمام فدُهش منهم، وعندما سألهما مع من تعملان أخبراه عني، فاعتذر منهم على الفور وذهب إلى الأستاذ محمد رشاد الشريف ليخبره بأن الدكتور عدنان يتعامل مع أولاد، وأنه يخشى عليَّ من التورط، وفعلاً تحدث معي أبو رفعت، فحزنت وغضبت. وعندما حضر الأخوة في الموعد المتفق عليه يوم الجمعة عاتبتهم بعد أن اعترفوا بما حصل، وقلت لهم: أن هذا خطأ كبير منافٍ للسرية، وأنه ما كان عليهما أن يذكرا اسمي للأخ أمير، فقالوا: كنا نعتقد أنه موضع ثقة. فقلت لهم اذهبوا ولا أسرة بعد اليوم، انتهى الأمر! وبعد أن حدث هذا التقطهم جار لنا من الجبهة الشعبية هو عدنان الصالحي، فنظم أكرم وزهير، أما حازم فقد التحق مع طاهر عند الأخ هلال.

بصحبة عبد المجيد الزير

أما الدكتور عبد المجيد الزير فلم يسأل عنا وعما فعلنا، وأين وصلنا، ولم نأخذ منه شيئاً، ومضت سنتان كنت أعمل معه خلالهما بإخلاص، سواء في دائرة الصحة أو في المستشفى، وكان يتباهى بي ويفضلني على زملائي الأطباء، حتى على أخيه الدكتور غالب، وكان يعتمد عليَّ كثيراً، وإذا سأله عني أحد، كوالدي رحمه الله، كان يجيب بأن الدكتور عدنان يساوي أربعة أطباء، وكان معجباً بي ويحبني. ويأخذني مرافقاً له في سيارته الحمراء للتفتيش على العيادات في القرى، وأحياناً في سيارة المهندس عثمان شاهين، وكان رئيساً لدائرة الأشغال العامة. ولكني لم ألمس أيّ تقدم أو عمل إيجابي في العمل الإسلامي، إلا الصلاة جماعة ظهراً في دائرة الصحة، وإنشاء مكتبة لدائرة الصحة، وأداء الصلوات جماعة خاصة صلاة العصر في مساجد البلد أو القرى، عندما أكون مرافقاً له، أما عن النشاط الأسري والعمل ضدَّ الاحتلال فلا!

وأذكر أنني نشطت في قسم الصحة المدرسية فقمت بفحص 33 ألف طالب وطالبة تقريباً، وزرت جميع مدارس الذكور والإناث والروضات، ولعلي أحدثت تأثيراً واضحاً في المدارس جراء قيامي بالمساعدة والمعالجة والوقاية وإلقاء المحاضرات الطبية بلغة نشيطة ميسورة.

لكني بدأت أختلف مع الدكتور عبد المجيد، وحصل بيني وبينه جفاء انعكس على الإخوة المسؤولين، وكنت من خلال الأخ أحمد القيق عرفت بعضهم، فبسبب ذهابه لبيت

أخيه حسن القيق[4] رحمه الله، رآهم وسلم عليهم وعرفهم. وكنت أعرف الأخ حسن أيام دراسته في العراق، حيث التقيته في بغداد وهو طالب في جامعة بغداد – كلية الهندسة، وكنت في جامعة دمشق، وصار لاحقاً رفيق درب وحبيباً نجتمع وإياه على حبّ الله ونتفرق على أن نلتقي لله ومن أجل دعوة الله، واستمرت معرفتي به على مدار 35 عاماً، وهيهات أن يأتي الزمان بمثله، إن الزمان بمثله لبخيل، بكيت وانهمرت دموعي يوم وفاته وخاصة في أثناء مكالمتي لزوجته أم سليمان، ونعيته بقول العطار حين نعى الدكتور السباعي:

إذا ما دعوت الصبر والبكا بعد يا حسن أجاب البكا طوعاً ولم يجب الصبر

رحمه الله.

وفي ذكرى المولد النبوي الشريف، وكان عطلة ذلك اليوم، ذهبت إلى نابلس وزرت الأخ سعيد بلال رحمه الله، وكنت قد عرفت مكتبته ومكانها من زيارة سابقة له مع الدكتور عبد المجيد بعد أن رجعنا من رحلة إلى طولكرم، استقبلنا فيها الدكتور الجلاد في طولكرم، وعندما رجعنا وقفنا في نابلس مدة لشراء بعض الحلويات، بينما ذهبت والدكتور عبد المجيد إلى مكتبة الشيخ سعيد بلال رحمه الله فعرفت المكان.

الاتصال بالتنظيم المركزي

عندما وصلت إلى مكتبة الشيخ سعيد، وكنت أعرفه من معسكرات جرش قبل حرب 1967، خرج معي وجلسنا في مقهى نشرب الشاي، فقلت له أن أكثر من سنتين مضت ولم نشعر بوجودكم كقيادة، فتعجب، وخاف، وقال: رأيت في الليل حلماً مزعجاً يبدو أن هذا تفسيرها، ورجاني أن لا أقوم بشيء حيث إنني هددت بتكوين جماعة جديدة منفصلة عن الإخوان.

[4] حسن القيق (1940-2006): ولد في دورا الخليل، تخرج من كلية الهندسة في جامعة بغداد سنة 1966، عمل في مجال التربية والتعليم ومديراً لمدرسة اليتيم العربي الصناعية حتى وفاته. أسهم في تأسيس عدد من المؤسسات الخيرية والاجتماعية، وشغل عضوية مجلس أمناء جامعة النجاح والجامعة الإسلامية. التحق بجماعة الإخوان المسلمين مبكراً، شغل عضوية المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو من أبرز مؤسسي حركة المقاومة الإسلامية، اختار كلمة "حماس" اختصاراً لاسمها. أسهم في صياغة الكثير من أدبيات حماس ووثائقها. لقب بـ"حكيم حماس" واعتقل عدة مرات في سجون الاحتلال. توفي في القدس. (المحرر)

أرسل إلى الأخوة: الأخ ناجي صبحة رحمه الله، ومعه الأستاذ محمد عبد العزيز عمرو، سألوني عما أريد فأجبتهم أني أريد أن نعمل بشكل جدي. غير أنَّا لم نتفق في تلك الجلسة على شيء، بل تفاقم الخلاف وقلَّت الثقة. ثم زارنا ومعه الأستاذ محمد رشاد الشريف في بيت الأخ محمد عيد مسك، وعندما دخلا أغلقت الدفتر، تحادثنا وتجادلنا، ثم طرح عليَّ سؤالاً، هل تثق بالأخ أبو ماجد، وكان المراقب العام للإخوان في عمّان، فقلت: "أنا أريد قيادة داخل النهر، ولا أسمع من خلف النهر، ونريد عملاً فعالاً". وعندما ذهبت لأداء فريضة الحج، زرت في عمّان الأخ أبا ماجد فأوصاني بالدكتور عبد المجيد، وقال لي: "اللي مالو خير في قديمو مالو خير في جديده". فبدا لي أن الدكتور شكاني له. وهكذا استمر الخلاف وازداد الجفاء. أما نحن فتكاثرنا، خاصة في أواسط الطلبة ومعهد الشريعة، الذي كان يتزعم العمل فيه الأخ هلال.

ناجي صبحة

الأخ أبو أسامة كان مجاهداً وداعية ناجحاً إلى الله، تنطق جوارحه قبل أن ينطق لسانه. عمر الإيمان قلبه ففاض على الجوارح فأوسع الله صدره خاصة مع الدعاة إلى الله، كان ليثاً بارعاً لبقاً في حديثه وفي تعامله مع إخوانه وكان خطيباً بارعاً، عرفته في معسكرات جرش، ثم في أثناء مسؤوليته في المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد سنة 1971، ولقد استمعت له ذات مرة وهو يخطب عن المودودي الداعية في دار الحديث في القدس عندما أقامت إدارة الأوقاف الإسلامية حفل تأبين للعلامة المجاهد أبي الأعلى المودودي يوم الأربعاء 1979/11/14. وكان عريف الحفل الشيخ جميل عبد الرحيم حمامي[5] وافتتح الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم للشيخ محمد رشاد الشريف. وكانت الكلمة الثانية عن المودودي للأستاذ ناجي، تأسف فيها على أبي الأعلى، وقال في كلمته المؤثرة أن المودودي واضح الفكرة واسع الاطّلاع، وقد كان الأستاذ ناجي كذلك واضح الفكرة وواسع الاطّلاع.

[5] جميل حمامي (1952-): ولد في معان بالأردن حيث كان يعمل والده شرطياً. استقرت عائلته في القدس، أكمل تعليمه الجامعي في مصر، عمل إماماً وخطيباً وواعظاً متجولاً في منطقة رام الله، ثم مديراً لدائرة الحديث الشريف في المسجد الأقصى ومديراً لأوقاف بيت لحم. أسهم في تأسيس عدد من المؤسسات والمنظمات الخيرية، نشط في صفوف الإخوان المسلمين في فلسطين بفترة مبكرة وأسهم في تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، واعتقل لدوره المؤسس في الضربة الأولى التي وجهت لحركة حماس والتي اعتقل فيها الدكتور مسودي، ناشط في الدفاع عن القدس والمسجد الأقصى. (المحرر)

وذات مرة ذهبت مع الدكتور عبد المجيد الزير والدكتور عوني الزغير لشراء كتب من مكتبة دنديس، وكان في المكتبة الأخ ناجي والأخ سعيد بلال رحمهما الله، فصافحني الأخ ناجي بشدة مما لفت نظر صاحب المكتبة، فقال له: من هذا الذي سلمت عليه، فقال له: هذا الدكتور عدنان مسودي، فصاح بصوت عالٍ: يا دكتور أكتب لي ورقة أني سلمت عليك، فقلت له: لمن؟ فقال: لشخص يعرفك في مكتب الرقابة في وزارة الإعلام في عمّان، وكان يطلب أن أسلِّم عليك، وأقول له أني لا أعرفك فيرسلني إلى المخابرات فأحتاج ليومين لأخذ الموافقة على دخول الكتب. فعرفت أنه الأخ محمد القضاة، فكتبت له ورقة صغيرة: بعد السلام الحاج عبد العزيز دنديس تاجر كتب ممتاز يحضر الكتب الممتازة، فسهل أمره.

الجمعية الخيرية الإسلامية

في سنة 1971، دخلت عضوية الجمعية الخيرية الإسلامية بدلاً من والدي رحمه الله، وكانت الجمعية قد تأسست في سنة 1961، وكنت معايشاً للجمعية منذ البداية، حيث أنني كنت أسمع وأرى من والدي أحد المؤسسين، وكانت بداية الجمعية عندما اهتزت مشاعر ثلّة طيّبة من الإخوة وعلى رأسهم الشيخ شكري أبو رجب عندما سمعوا بأن مدرسة المنونايت التبشيرية[6] التي تحتضن أيتام الخليل خرج منها من تنصر وذهب إلى إفريقيا مبشراً بالدين المسيحي، وكان معه الحاج عيسى عبد النبي والحاج راشد سلهب والمحامي عبد الخالق يغمور والحاج موسى يغمور والحاج صدقي الجعبري[7] والأستاذ صائب الناظر والحاج كاظم حسونة والسيد مدحت طهبوب رحمة الله عليهم جميعاً، والدكتور عبد المجيد الزير، وكان أن ذهب هؤلاء محتجين إلى متصرف لواء الخليل محمد نزال العرموطي، وطالبوه بإغلاق المدرسة غير أنه رفض، وقال لهم أن هذه المدرسة مرخصة من وزارة الشؤون الاجتماعية في عمّان، ولا أستطيع إغلاقها، واقترح عليهم

[6] تدعى مدرسة دار الأيتام الإنجيلية، تقع في مدينة الخليل في منطقة عين سارة، وهي إحدى مدارس "مجلس الكنائس الإنجيلية المحلية في الأراضي المقدسة" تتبع المجمع الكنسي، اتهموهم بالقيام بدور تبشيري في صفوف طلابها المسلمين. (المحرر)

[7] صدقي صادق الجعبري (1917-[...]): ولد في مدينة الخليل، درس في مدارس الخليل، عمل في التجارة، أسهم في تأسيس وعضوية الجمعية الشرعية وجمعية بيت الخليل الخيري للأيتام (الجمعية الخيرية الإسلامية لاحقاً). اشترك في المؤتمر الفلسطيني الأول المنعقد في القدس وفي الثاني والثالث المنعقدان في القاهرة والرابع المنعقد في غزة، أبعدته سلطات الاحتلال الصهيوني سنة 1969 إلى الأردن لكنه عاد لاحقاً إلى الخليل. (المحرر)

أن يفتحوا مدرسة للأيتام ويسحبوا منها الأيتام لكي يتعلموا الإسلام، فكانت الفكرة بداية للجمعية الخيرية الإسلامية.

تبرع الحاج عيسى عبد النبي النتشة رحمه الله بمنزل لآل عبد النبي في منطقة حيّ الزاهد، وكانت دار كبيرة فيها غرف واسعة وليوان كبير، فأصبحت بيتاً للأيتام، وكان بجوارها قطعة أرض صغيرة جعلوها ملعباً للأيتام. وأضيف لاحقاً للدار بناء جديد فيه عدد من الغرف، كان منها غرفة للهيئة الإدارية، تعقد فيها الاجتماعات الأسبوعية.

عقد أول اجتماع لتأسيس الجمعية في مدرسة أسامة بن منقذ، وكنت حينئذ طالباً في ثانوية الحسين بن علي، وكنت أحل مكان والدي رحمه الله في دكانه المقابل للمدرسة، وعرفت حينها أن عدداً من المحسنين من أغنياء الخليل قد تبرعوا بمبالغ مالية لصالح المشروع، وأجريت انتخابات الدورة الأولى سنة 1966، فاز فيها كلّ من الحاج عيسى عبد النبي، والشيخ شكري أبو رجب، والدكتور عبد المجيد الزير، ووالدي عبد الحافظ مسودي، وكان هؤلاء الأربعة من الإخوان المسلمين، وفاز كذلك المحامي عبد الخالق يغمور، والأستاذ صائب الناظر، والحاج كاظم حسونة، وما إن دخل الأعضاء الأربعة من الإخوان إلى غرفة الإدارة حتى خرج المحامي عبد الخالق يغمور، فأمسك به الشيخ شكري أبو رجب بقوة وسأله، وقال له: إلى أين؟ فأجاب: والله لن أجلس، فقال له الشيخ: نريد أن نجعلك رئيساً لنا، فرفض المحامي وكان رئيساً للبلدية، فقد كانت له تجربة سابقة معهم في رابطة الجامعيين التي كان رئيسها، وفيها أربعة أعضاء من الإخوان، الدكتور حافظ عبد النبي والأستاذ كامل شحادة والأستاذ عرفات التكروري والدكتور عبد المجيد الزير، وكانوا أغلبية. وعندما خرج، استدعوا العضو الاحتياط الحاج راشد سلهب، وانتخب الشيخ شكري أبو رجب رئيساً، والدكتور عبد المجيد نائباً للرئيس، والحاج عيسى عبد النبي أميناً للصندوق، والأستاذ صائب الناظر مديراً لبيت الخليل الخيري للأيتام، والحاج كاظم حسونة أميناً للسر.

كان اسم الجمعية الأول جمعية رعاية الأطفال الإسلامية، وكانت تُعنى بالأيتام، وكان والدي رحمه الله يزورهم يومياً، وخاصة إذا أراد صلاة العصر، فيتوضأ ويصلي العصر هناك ثم يتفقدهم، ويسمع من الموظفات حاجاتهم وطلباتهم، خصوصاً أن دكانه كان مجاوراً لدار آل عبد النبي المتبرع بها للجمعية. والذي أذكره أن الأيتام كانوا

يتعلمون في مدارس الحكومة، مثل مدرسة أسامة بن منقذ ومدرسة الجزائر، ومدرسة بئر السبع، ومدرسة إبراهيم أبو دية، وهي مدارس قريبة من دار آل عبد النبي، فيدرسون في الصباح إلى الظهر، ثم يعودون إلى البيت للإقامة فيه وتناول الطعام والنوم وتلقي الرعاية التربوية، حيث كان يأتي متطوعاً لتربيتهم وإرشادهم والإشراف عليهم الدكتور أمير رصرص والدكتور عدنان صلاح.

وأذكر أن أول من وظّف في الجمعية الأستاذ فخري صلاح، الذي عين مشرفاً للبيت الداخلي وكان أول مشرف في بيت الأيتام، أما الشيخ يوسف نوفل رحمه الله، فكان "الدينامو" والعمود الفقري المولد للطاقات، والمكّلف بشراء الحاجيات للأيتام ومتابعتهم ومتابعة أمور الجمعية خلال غياب أمين السر المتكرر، بسبب أمور الجمعية. كان هو محاسب الجمعية وموزعاً للتقويم السنوي، علماً أن الأعضاء كانوا يقومون بأنفسهم بتوزيع التقويم وجمع التبرعات المالية والعينية لبيت الخليل الخيري للأيتام.

في الفترة 1961-1967 كانت البداية الأولى الموفقة والناجحة للجمعية، حيث استقطبت الجمعية عدداً من الأيتام، كنت أشاهدهم بنفسي في بيت الخليل الخيري للأيتام في أثناء وجودي في الخليل، وكنت أعرف الطاهية أم عبد الحافظ القواسمة، التي كانت تعد الطعام للأيتام، وكنت أعرف الحاجة نظمية أبو عرفة، التي كانت بمثابة الأم والحارس والراعي لهم في القسم الداخلي، فكانت تهتم بحاجيات الأيتام وملابسهم ونظافتهم.

وفي هذه الفترة كانت الجمعية تجمع التبرعات في مدينة الخليل وفي عمّان والقدس، من خلال توزيع التقويم، بالإضافة لأموال الزكاة، وأذكر أن الملك حسين ملك المملكة الأردنية زار الجمعية وتبرع لها بمبلغ من المال، لكن أهم التبرعات التي دخلت للجمعية، التبرعات التي جمعها الحاج عيسى عبد النبي والحاج كاظم حسونة والأستاذ صائب الناظر عند سفرهم إلى السعودية: لقد اشتروا قطعة أرض في منطقة الحاووز حيث بني المبنى الأول للجمعية، وقد سافر وفد آخر إلى الكويت وكان معهم الدكتور عبد المجيد الزير. وبالإضافة إلى التبرعات المالية جمعت تبرعات عينية من التجار.

في 1973/7/20 جرى عقد اجتماع للهيئة العامة للجمعية، وكان عدد أعضائها 71 عضواً، وفازت بالتزكية هيئة إدارية جديدة برئاسة الشيخ شكري أبو رجب

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

وعضوية كلّ من الدكتور عبد المجيد الزير (نائب الرئيس) والحاج كاظم حسونة (أمين السر) والحاج عيسى عبد النبي (أمين الصندوق) والأستاذ صائب الناظر (مدير البيت) والحاج راشد سلهب وعدنان مسودي[8].

خروج الدكتور عبد المجيد الزير من الجمعية والجماعة

في 1975/9/19، عقدت الهيئة العامة اجتماعاً استثنائياً[9]، لانتخاب هيئة إدارية جديدة بعد خلاف حصل مع نائب الرئيس الدكتور عبد المجيد الزير، حيث أن شقيق الدكتور صالح كان مديراً للمدرسة الشرعية، وكان غير موفق في وظيفته، فاختلف الدكتور مع الهيئة الإدارية وخصوصاً الحاج عيسى عبد النبي والحاج راشد سلهب اختلافاً شديداً، وكنت أراقب ولا أتحدث في الموضوع، واعتقد الدكتور عبد المجيد أني أوافقه رأيه، خصوصاً أن أخاه كان صديقي، وتحدث معي الحاج راشد والحاج عيسى وقالا: هل تصوت معنا؟ قلت: نعم، وشاركتهم رأيهم.

وفي إحدى الجلسات طرح الموضوع للتصويت، فكنا نحن الثلاثة في طرف، وفي طرف الدكتور عبد المجيد وقف الحاج كاظم حسون والأستاذ صائب الناظر رحمهما الله، وتردد الشيخ شكري أبو رجب رحمه الله وكان هو الرئيس، وفشلت الجلسة وظهر الخلاف الشديد والانقسام الواضح في الهيئة الإدارية، وأخذ الدكتور عبد المجيد يشكو للإخوة خارج الخليل، خاصة في القدس وحضر الحاج راضي السلايمة[10]، والأستاذ

[8] أثبت ضمن ملحق الوثائق وثيقة مؤرخة في 1973/7/28 فيها نتائج انتخابات الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية الإسلامية سنة 1973، وهي مرسلة إلى مدير الشؤون الاجتماعية بالخليل. انظر: الوثيقة رقم 4، ص 134. (المحرر)

[9] أثبت ضمن ملحق الوثائق وثيقة مؤرخة في 1975/9/23 فيها نتائج انتخابات الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية الإسلامية في 1975/9/19. انظر: الوثيقة رقم 5، ص 135. (المحرر)

[10] راضي السلايمة (1904-1996): أحد أبرز وجوه الإخوان المسلمين في القدس، عاش في مصر وعمل في التجارة، نشط في جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وكان عضواً في أسرة ضمت عدد من قيادات الإخوان في القاهرة أمثال الشهيد محمد يوسف هواش والدكتور أحمد الملط، وكان منزله في الروضة مستقراً لاجتماعات الأخوات المسلمات، وتشير بعض الروايات إلى أنه كان مسؤول صندوق الدعوة في أثناء وجوده في القاهرة التي غادرها بعد بدء الصراع بين الإخوان المسلمين وجمال عبد الناصر سنة 1954. عمل في صفوف الإخوان المسلمين في الأردن فكان أبرز قيادات الإخوان في الضفة الغربية واستلم إدارة مطابع الإخوان المسلمين، كان أحد الوجوه التي أسهمت في الربط بين الإخوان في غزة والضفة الغربية بعد سنة 1967. توفي في القدس. (المحرر)

حسن القيق رحمهما الله للتدخل ولكنهما فشلا ولم يوفقا، وأذكر أن الشيخ أحمد ياسين[11] رحمه الله جاء من غزة وتدخل ولم ينجح.

كانت نتيجة الانتخابات خروج الدكتور عبد المجيد الزير والحاج كاظم حسونة من عضوية الجمعية، وانتخاب هيئة جديدة برئاسة الشيخ شكري أبو رجب، وعضوية الأستاذ صائب الناظر (نائب الرئيس)، والأستاذ محمد عيد مسك (أمين السر) والحاج عيسى عبد النبي (أمين الصندوق)، وعدنان مسودي (مدير البيت) والحاج راشد سلهب والأستاذ محمد عبد العزيز عمرو، وإثر هذه الانتخابات خرج كذلك الدكتور عبد المجيد من الدعوة.

واستمرت عضويتي في الجمعية إلى أن استقلت في 1976/5/4 حيث قدمت استقالتي من أجل التخصص، واستدعي بدلًا مني الأستاذ محمد رفيق النتشة[12].

انتخابات بلدية الخليل سنة 1976...

في سنة 1976، كانت البلدية برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري رحمه الله، الذي يخشاه الناس وأرادوا تغييره ولكنهم كانوا يخافون منه، وكانت الانتخابات قد جرت في المدن الأخرى سنة 1972 لكنها لم تجرِ في الخليل، واستمر المجلس البلدي في عمله بالتزكية، وحضرت المؤتمر الشعبي في البلدية وشاهدت كيف جرت الترتيبات للتزكية، ولا أنسى صياغة الصحفي صبحي الشريف لقرارات المؤتمر، وتزيينه الموقف للناس.

---

[11] أحمد ياسين (1938-2004): ولد في قرية الجورة قضاء المجدل، هاجر وأسرته إلى قطاع غزة بعد حرب 1948، تعرض لإصابة رياضية أصابته بالشلل، درس اللغة العربية في مصر، عمل في التدريس والخطابة بغزة، وأصبح رئيساً للمكتب الإداري للإخوان المسلمين في قطاع غزة في أيلول/ سبتمبر 1967 إثر مغادرة رئيسه السابق إسماعيل الخالدي للقطاع، وهو أحد مؤسسي جمعية المجمع الإسلامي في غزة، اعتقل بتهمة الإعداد للعمل العسكري سنة 1983، أفرج عنه في صفقة لتبادل الأسرى مع الجبهة الشعبية – القيادة العامة سنة 1985، عضو المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في قطاع غزة لحظة تأسيس حماس، وأحد أبرز مؤسسيها، اعتقل سنة 1989 مع المئات من كوادر حركة حماس وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، أفرج عنه سنة 1997 بصفقة تبادل أسرى مع الأردن بعد الإفراج عن عنصرين من الموساد حاولا اغتيال خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس، ويعدّ "الزعيم الروحي" لحركة حماس. اغتيل يوم الإثنين 2004/3/22 بقصف صاروخي استهدفه بعد خروجه من صلاة الفجر. (المحرر)

[12] أثبت ضمن ملحق الوثائق وثيقة مؤرخة في 1976/6/1 يطلب فيها محافظ الخليل من مفتش الجمعيات الخيرية الموافقة على قرار الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية الإسلامية باستدعاء عضو الاحتياط محمد النتشة ليحل مكان الدكتور عدنان مسودي نظراً لسفره للخارج من أجل التعليم. انظر: الوثيقة رقم 6، ص 135. (المحرر)

استمر الوضع سنوات أربع، وضاق الناس ذرعاً وأرادوا التغيير، وأذكر أن المحامي رجائي كاتبة[13] رحمه الله، كان يكتب مقالات صحفية جريئة في صحيفة الشعب حول البلدية، وحصلت المفاجأة بأن أعلن فهد القواسمي[14] رحمه الله عن ترشيح نفسه للبلدية بالصحف وبدأت المعركة وذاعت الإشاعات!

ترشح بعده الدكتور عوني الزغير، ثم حصلت ثورة عندما قرر آل النتشة ترشيح الدكتور أحمد حمزة، ثم عدلوا عن قرارهم ورشحوا المهندس مصطفى عبد النبي بالإضافة إلى أحمد حمزة، وهنا حصل الخطأ القاتل بأن اعترض برهان الجعبري وعدد من أعضاء المجلس البلدي في المحكمة ضدّ أحمد حمزة. ونجح أحمد حمزة بالدفاع وأثبت أن له بيتاً في الخليل، وأنه كان يعمل مديراً في بيت جالا للمستشفى، فبالقانون استطاع أن يغلبهم وبمساعدة عدد كبير من المحامين ومنهم رئيس بلدية الناصرة.

وازداد الغليان في الشارع وارتفعت شعبية الكتلة الوطنية، وزاد ذلك بعد إبعاد سلطات الاحتلال البغيض الدكتور أحمد حمزة إلى جنوب لبنان مع عبد الجواد صالح[15] من البيرة، وهاج الناس وماجوا وغضبوا وأسرع آل النتشة لترشيح المحامي إسحق النتشة بدلاً منه. وترشح من الإخوان الحاج راشد سلهب رحمه الله وتمّ ترشيحه باسم آل التميمي، الذي كان شخصية إخوانية معروفة. وفازت الكتلة الوطنية ومرشحها للرئاسة فهد القواسمي على الكتلة الأخرى فوزاً ساحقاً، وخرج الشيخ محمد الجعبري من رئاسة البلدية.

---

[13] رجائي كاتبة (1939-[...]): ولد في الخليل، التحق بكلية الحقوق في جامعة دمشق، عمل في المحاماة، شغل عضوية مجلس بلدية الخليل سنة 1976، وشغل عضوية عدد من الجمعيات والمؤسسات أبرزها جمعية الشبان المسلمين. له عدد من الكتابات الصحفية المشهورة، اعتقل في سجون الاحتلال سنة 1968. (المحرر)

[14] فهد القواسمي (1939-1984): ولد في الخليل، حاصل على درجة الماجستير في الهندسة الزراعية من مصر، انتخب رئيساً لبلدية الخليل سنة 1976 ممثلاً للكتلة الوطنية، رفض اتفاق كامب ديفيد Camp David Accords فأبعد إلى خارج فلسطين إثر عملية الدبويا في أيار/ مايو 1980، انتخب في الدورة الـ 17 للمجلس الوطني وعهد إليه رئاسة دائرة شؤون الوطن المحتل. اغتيل في عمّان في 1984/12/29. (المحرر)

[15] عبد الجواد صالح (1931-): ولد في مدينة البيرة، حصل على بكالوريوس اقتصاد سياسي من الجامعة الأمريكية في القاهرة سنة 1955، نشط في حزب البعث حتى أواسط الستينيات، أبعدته سلطات الاحتلال الصهيوني مع عدد من رؤساء البلديات، شغل عضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير من 1974/6/9-1981/4/18، انتخب عضواً في المجلس التشريعي الفلسطيني سنة 1996، شغل منصب وزير الزراعة في الحكومة الفلسطينية الثانية. (المحرر)

Towards Confrontation: Memoirs of Dr. Adnan Maswady Regarding the Muslim Brotherhood in the West Bank & the Founding of Hamas

Edited by:

Bilal Mohammad

هذا الكتاب

تسلط هذه المذكرات الضوء على الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حركة حماس، وعلى بعض أوجه الاجتهاد في العمل بين قادة الإخوان في الضفة الغربية في القضايا المختلفة. وتُظهر المذكرات أن حركة الإخوان المسلمين، تميزت عن غيرها من الحركات الإسلامية المعاصرة بالانفتاح على كل جديد، والاستعداد للمراجعة والتجديد؛ وأن التزامها بالشورى يعصمها من الانحراف عن خطها الوسطي.

وينتقل الدكتور مسودي في مذكراته بالقارئ من مرحلة إلى أخرى من تاريخ الجماعة في فلسطين، بدءاً بمرحلة النشأة التي كان والده ممن لهم دور مهم فيها، مروراً بمراحل النضج والانتقال من مستوى العمل الثقافي والاجتماعي إلى مستويات غير مسبوقة من المقارعة والنزال في ميدان السياسة والجهاد؛ حيث كان له فيها دور بارز، موجهاً، وقائداً، ومربياً.

وبلا شك، فلا غنى عن هذا الكتاب لكل المعنيين بالدراسات الفلسطينية، وبالتاريخ الفلسطيني المعاصر، وخصوصاً تاريخ جماعة الإخوان المسلمين.

ISBN 978-9953-572-17-8

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت